أضغاث فارس، بلا فروسية !! (*)

ظنى أنه لا يليق بالحضارة البريطانية العظمى، أو التى كانت عظمى، أن تخرج لسانها لأحد، ناهيك عن أن تخرجه للمسلمين ! فى تنطع غريب، وخيبة قوية، أعطى قصر باكينجهام بالتناغم مع الحكومة البريطانية التى لا تترك للقصر التصرف وحده - أعطى وسام " فارس " للمدعو سلمان رشدى، فى الوقت الذى جرّد فيه " موجابى " من ذات الوسام - وسام فارس - السابق لذات الملكة إليزابيث الثانية منحه إياه عام ١٩٩٤ !

التجريد الملازم هنا للمنح، دال بذاته على خيبة احتيارات المنح، وإن أصابت هنا فى التجريد. لست أعرف ماهى حيثيات منح الوسام الهلامى للكاتب الهندى الأصل سلمان رشدى، فلا هو فارس، ولا صدر عنه ما ينتمى إلى شجرة الفروسية، ولا المانحة احتفظت بتقاليد الفروسية التى كانت للمملكة فى الزمن الغابر !

حملت إلينا الأنباء أنه فى احتفال بقصر باكينجهام، تلقى سلمان رشدى تكريم ملكة بريطانيا من أجل " خدماته فى مجال الأدب ".

---

* الأهرام ٢٠٠٨/٧/٣

ولم تحفل الملكة والحكومة البريطانية المتناغمة معها، بمشاعر المسلمين الذين أساء إليهم الممنوح " وسام الديكور " فى روايته " آيات شيطانية " (١٩٨٨)، ولا بما فيها من غثاء وتهجم جهول على الإسلام ولا ينتمى أو يحسب على الأعمال الأدبية بمقاييسها التى يعرفها الأدباء والنقاد، ولا حفلتا - الملكة وحكومتها - بما أنذر به الإعلان عن نيّة منح هذا الوسام من احتقان شديد، ومظاهرات عمت الدول الإسلامية والعربية، احتجاجاً على هذا التصرف الضرير الذى لا معنى ولا سبب له اللهم إلاّ أن يكون مقصوداً به إغاظة المسلمين واستفزازهم وتكريس التوتر بينهم وبين العالم الغربى !

لم تمنح ملكة الإنجليز هذا الوسام (الديكور) لكثيرين من كتاب وأدباء الغرب والإنجليز الحقيقيين، ولم تمنحه كتاباً كباراً من أصول هندية أو عربية، ولم تنعم به على كثيرين من أدباء نوبل الذين شهد لهم العالم بأنهم أدباء حقيقيون قدموا للإنسانية والأدب والفكر أعمالاً عظمى !

فلماذا سلمان رشدى ؟!

هل صحيح أنه قدم - غير التهجم الغشوم على الإسلام ! - " خدمات فى مجال الآداب " ؟! جواب هذا السؤال يكشف " تحرش " قرار المنح بالإسلام والمسلمين، ويعريه من أى غاية يفهمها العقلاء إلاّ هذا المأرب الضرير بإخراج اللسان وإغاظة المسلمين ! ولكن هل فى هذه الإغاظة الضريرة أى مسحة من عقل ؟! ما العقل فى افتعال منح وسام ديكور لشخص خالٍ من المواهب استعدى بتهجمه الغشوم بليون ونصف البليون من المسلمين ؟! وما العقل فى إلهاب المشاعر والاحتقانات وإثارة

الحروب الضارية العمياء بين أبناء الأديان ؟! ماذا لو تمنطق المسلمون كما تمنطقت ملكة الإنجليز، ومنحوا وسام أو لقب فارس لمن يشن حملة - مثلاً ! - على العهد القديم يكشف ما به من عنصرية وتعديات صريحة على الإنسانية ومخالفات جسيمة فى الخطاب والتعاليم لا تتفق بأى حال من الأحوال مع الرسالات السماوية ؟! ماذا لو تخير المسلمون إرهابيا فأسبغوا عليه فروسية متنطعة لا تنتمى إلى عالم الواقع أو دنيا العقل التى يلتزم بها العقلاء ؟!

ربما كان من الممكن فهم - ولا أقول قبول - هذا الجنوح البريطانى، لو كان هذا السلمان رشدى عبقرية فذّة سبقت زمانها وفاقت السابقين والمعاصرين بنبوغ لافت أدهش القصر الملكى وأذهب لبه ولب الحكومة ودفعهما دفعاً لا حيلة لهما فيه سوى إشهار الإقرار بهذه العبقرية الفذّة والعطاء المجيد، بيد أن الواقع صافع يقول إن الرجل من مغمورى العطاء محدودى الفكر عديمى الموهبة، وأن كل بضاعته التى جرى بها ذكره، هى التطاول الجهول الغشوم على الإسلام، ومعاداة أمته، بحيث بدا أن المقصد الوحيد للإنعام البريطانى هو إغاظة المسلمين والتحرش بهم واستفزازهم.. فهل هذا " الاستفزاز " مرام مقصود لدفع المسلمين إلى ردود أفعال غاضبة لاستغلالها فى الترويج ضدهم بأن العنف طبيعتهم ! حتى هذه الحيلة، إن كانت هى الدافع، حيلة خائبة، لأن الغضب للدين قاسم مشترك بين جميع أبناء الأديان بلا استثناء، وليس من ثم حجة على المسلمين أن يغضبوا للغو فى دينهم والإساءة إليه والتطاول عليه ! فإذا كانت وراء الإنعام اعتبارات سياسية، فإنها صدرت ولا شك عن رؤية قاصرة لم تحسن فهم التداعيات السلبية المؤكدة لهذا التصرف الذى بدا شذوذاً عن كل

مألوف واصطناعاً لأسباب الاحتفان وتعكير العلاقة بين المسلمين وبين الغرب بعامة والإنجليز بخاصة !

ما هى مصالح بريطانيا العظمى، التى يجب أن تحكم التصرفات الملكية والقرارات الحكومية، من وراء منح هذا الوسام الديكور ؟!.. هل صار سلمان رشدى فارساً فى الحق والحقيقة بمنحه هذا الوسام.. الفروسية التى ينتمى إليها الفارس مجموعة قيم وخصال وقدرات ومعطيات، لا مجرد إسباغ نعم أو أوصاف بلا مضمون.. قد يمكن أن يوجد فارس بلا جواد، لأن الفروسية منظومة رفيعة يستطيع أن يدركها الفارس حتى لو كان مترجلاً على قدمين، ولكن لم يوجد فارس قط، حتى ولو اعتلى صهوة حصان أو حمار، لا يملك نخوة الفارس ومقومات وخصال وصفات وعطاء الفروسية !

ما العائد على بريطانيا من هذا التحرش الذى لا يستند إلى أى معنى تقره الأفهام، وهل جعلت الإنعامات الملكية لافتعال أسباب للعداء والتخاصم والتعارك بين الشعوب، ناهيك عن أبناء الأديان ؟! إن ما لازم قرار المنح الضرير - من تجريد مبصر للرئيس الزيمبابوى "موجابى" من لقب فارس السابق إسباغه عليه عام ١٩٩٤، دليل قائم أمام الملكة وحكومتها على أخطاء وعمى أمثال هذه القرارات بما يوجب التأنى والتمعن فيها وفى مقوماتها، ناهيك عما يمكن - كالحادث ! - أن تثيره من ردود أفعال ظنى أن الإنسانية فى غنى عنها !

يخطئ المسلمون خطأ كبيراً لو أعطوا أى اهتمام لهذا الوسام الديكور أو التفتوا إليه.. فلا المانحة فارسة تقبل شهادتها على الفروسية، ولا المسبغ عليه فارس أو يمكن أن يكون فارساً لمجرد أن ملكة الإنجليز

منحته وسام فارس.. الوسام ديكور لا قيمة ولا معنى ولا أثر لـه مـا دام يخالف الواقع ولا يستند إلى حيثيات.. وسلمان رشدى لم يكن فارساً حـين تهجم فى " آياته الشيطانية " على الإسلام، ولن يكون فارساً بالديكور الذى لا يجاوزه الوسام.. ومآل ما كتبه إلى مزبلة التاريخ، فلا هو قـدم عمـلاً فكرياً موضوعيا قيماً، ولا هو صنع عملاً أدبيا رفيعاً يحسب له. ما فعلـه هذا الرجل محض تهاويم ضريرة وتهجم أعمى أرضى وأعجب فقط مـن يكرهون الإسلام والمسلمين !

المستفيد الوحيد من أى احتقانات أو ردود أفعال غاضـبة، سـوف يكـون ذات سلمان رشدى الذى لم تكـن له أى قيمة، ولا كان له ذكر، إلاّ بالفتوى الخومينية الإيرانية وردود الفعـل الإسـلامية علـى " آياتـه الشيطانية ".. فهى عمل غث، لا أدب فيه ولا فكر به، ولم يلفت الأنظـار إليه وإلى كاتبه، إلاّ ردود أفعالنا.. لا زلت آمـل أن نـتعلم مـن دروس الماضى، أن نهمل الوسام ومانحته والممنوح له، وألاّ نعيرهم أدنى اهتمام، ففى هذا الإهمال مقتل الحدوتة كلها !!

الوسـام الممنوح بلا حيثيات، لغو فى لغو.. واللغو لا معنى له ولا قيمة، وكم من تفاهات وأضغاث مرت مر السـحاب، فـلا أمطـرت، ولا أظلت، ولا التفت إليها أحد.. ليس التجاهـل موقفـا أو تـصرفاً سـلبيا، فمردوداته كلها إيجابية، تعلم أطراف اللعبة، وتعلم العالـم، أنه لا قيمة لما لا قيمة فيه، وأن المسلمين لديهم من إيمانهم وثقتهم فى دينهم وعقيدتهم مـا يحدوهم لتجاهل الصغار والصغائر.. التجاهل مقبرة حقيقية فى مثل هـذه الأحوال !